مدنيّة تحاول تعزيز الإنسان بتذليله أو إحياءه بموته؟ إنّها لمدنيّة حلّ بها الخرف، فهي من عمرها في الشتاء.

وأنا إذ أقول إن مدنيتنا قد خرفت وإن ربيعها وصيفها وخريفها أصبحت وراءها لا أقول ما يحطّ من قدرها. فقد قامت بواجبها وأدّت رسالتها. بارك الله فيها. ولا أنا أقول ما يزعج أو يزعل أحداً إلّا الذين يعتقدون هذه المدنيّة أقوى من الزمان ومن تقلّبات الإنسان. وذلك اعتقاد صبياني، وإنّه لمن دلائل عظمة الإنسانيّة وجبروتها وخلودها أن تخلع عنها المدنيات كما تخلع الأرض الفصول، وأن تتجدّد بمدنياتها كما تتجدّد الأرض بفصولها.

وإن في ما نشهده اليوم من زعازع وأعاصير تجتاح البشرية لبشائر غالية التي تحملها إلينا أعاصير آذار وزعازعه. فقريباً تنجلي السماء عن ربيع بكر لإنسانيّة ما فتئت تحبل بالعجائب وتلد العجائب وستبقى تحبل وتلد إلى أن تلد العجيبة الكبرى وهي عجيبة الإنسان المنعتق من ربقة الفصول وقد عانق أخاه الإنسان عناقاً تصفّق له الملائكة، وتباركه الآلهة، وتغنّي له المسكونة بكلّ ما في قلبها من قوّة وغبطة وحياة.